

تدل على استخدام العبيد في الزراعة ، وكان تأثر هذه القرى بالحضارة الرومانية ضئيلا كتأثرها بالحضارة الهلينية ، ذلك ان القرويين تمسكوا بقوة بطرق حياتهم التقليدية ، وفي المدن عاش كبار الملاك واصحاب قطعان الماشية ، وشكلوا الارستقراطية الوطنية وكان من بينهم رجال الدين . وعاش معهم موظفو الحكومة ، وقد استخدموا الرقيق وانصرف كثير منهم الى حياة الترف . ومع ذلك بقي شعور الولاء نحو العائلة مسيطرا وهو ما احتفظوا به من تراث العصر القبلي . وساعدت المفاهيم التقليدية على الاعتدال في العادات ، وكانت المرأة في الريف تخرج سافرة كما هو شأنها اليوم ، بينما لبست نساء المدن براقع تحيط بالرأس وتدل على الاكتاف ، واستحسنن النساء الوشم وخصوصا على الصدر ، ويبدو ان الرجال اهلوا عادة الختان - وهي عادة سامية قديمة - بفعل الاحتكاك بالهنود الاوربيين من يونان ورومان ، وتركوا نهائيا بتأثير المسيحية لتعود من جديد بعد انتشار الاسلام . وقد انتشرت في المدن انواع اللهو الرومانية كالمصارعة وسباق العربات والمباريات الموسيقية والتمثيل المسرحي . وكان الصيد محبا لدى الاغنياء . وبقيت الحمامات العامة التي ظهرت في العهد السلوقي وزاد الاقبال عليها ، واشتهر اهل فلسطين وسورية في الامبراطورية الرومانية بالبراعة في الموسيقى والتمثيل .

وازدهرت الحياة في المدن الفلسطينية التي جمعت بين نماذج مختلفة فكانت هناك المدن الفلسطينية القديمة على الساحل مثل غزة وعسقلان ويافا وعكا ، وقد اصطبغت بالصبغة الهلينية . ثم كانت هناك المدن التي بنتها الاسرة اليهودية وهي قيصرية على البحر وسبسطية وطبرية وقيصرية فيلبي . وكانت هناك ايضا المستعمرات القليلة التي بناها الرومان واشهرها فيابوليس ( المدينة الجديدة ) وقد بنيت على موقع مدينة شكيم التي تذكر في العهد القديم ، وكانت قد جددت باسم سكيثوبوليس ثم خربها اليهود الثائرون لان يهودها انضموا للرومان ، فاعاد فسباسيان الروماني بناءها واطلق عليها اسم فلافيوس نيابولس . وقد بنى فسباسيان مدينة باسم عمواس على بعد سبعة اميال شمال غربي القدس . وفي الداخل بقي حلف المدن العشر « الديكابولس » موجودا .

ونشطت في هذه المدن الحركة العلمية ، وازدهرت فيها مدارس غزة وعسقلان وقيسارية وظهر في فلسطين المؤرخ يوسيفوس الذي ولد في القدس حوالي ٢٧م وكان يهوديا ينحدر عن طريق امه من المكابيين على حد قوله وقد شارك في ثورة اليهود ضد حكم الرومان واسر ، ثم التحق بعائلة الامبراطور في روما وكتب كتابه « اثار اليهود » الذي تحدث فيه بالتفصيل عن حكم المكابيين وحكم الهيروديين . وكتابه « حروب اليهود » الذي كتبه بالارامية وسجل فيه احداث الثورة التي شهدها . كما ظهر في فلسطين القديس يوستين الشهيد الذي ولد في نابلس حوالي سنة ١٠٠ م من ابوين وثنيين واعتنق المسيحية بعد ان كان